المحاضرة الثانية

( أهمية علم الأخلاق )

إنّ للأخلاق أهميّةً بالغةً، ولا تقتصر هذه الأهميّة والتأثير على الفرد وحده، بل تتعدّى هذه الأهميّة لتعمّ المجتمع كلّه؛ لذا يُقسَم الحديث عن أهميّة الأخلاق إلى قسمين، وبيان ذلك على النحو الآتي:

**1) أهميّة الأخلاق للفرد :** إنّ للأخلاق أهميّة عظيمة للفرد، ويتجلّى ذلك في العديد من الأفعال والسلوكات، وبيان ذلك على النحو الآتي:

* الأخلاق تمنح الفرد إمكانيّة اختيار السلوك الصادر عنه، وتحديد شكله، ممّا يعني الإسهام في تشكيل شخصيّة الفرد، وتحديد أهدافه في الحياة.
* الأخلاق تمنح الفرد الشعور بالأمان؛ إذ بالأخلاق والتّحلّي بها يتمكّن الفرد من مواجهة ضعف نفسه، ومجابهة التّحديات والعقبات التي تواجهه في حياته.
* الأخلاق تساعد الفرد على ضبط شهواته وهواه ومطامع نفسه، حيث تكون تصرّفاته كلّها متّسقة على ضوء ما يتحلّى به من الأخلاق الحُسنة.
* الأخلاق تسمو بالإنسان فوق الماديّات المحسوسة، فيرتفع الإنسان بالأخلاق إلى درجاتٍ رفيعةٍ من الإنسانيّة.
* الأخلاق الحسنة تُكسِب الفرد جزاءً حسناً في الحياة الآخرة، ويتمثّل هذا الجزاء بالأجر الكريم، وبالثواب الحَسن من رضا الله تعالى، والقبول منه، والفوز بجنّته.

**2) أهميّة الأخلاق للمجتمع** : إنّ تمسُّك المجتمعات والأُمم بالأخلاق الحَسنة والتزامها بها، يُعدّ سبباً في حفظ المجتمعات والأمم وبقائها، ودوام مجدِها وعزِّتها، بينما يُعدّ انحلال الأخلاق سبباً في زوال المجتمعات، وانحلالها، وتلاشي أثرها، فقد تعرّضت عدّة أمم سابقة لسخط الله تعالى، وحلَّ عليها عذابه؛ بسبب ما كانت عليه من سُوء الخلق، وشاهد ذلك في القرآن الكريم، قول الله تعالى: ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا ) ، فسُوء الأخلاق مؤْذِنٌ بخراب المجتمع ودماره وانهيار كيانه، وقد عبّر الشّاعر أحمد شوقي عن هذا الأمر، حيث قال : وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً .

**وفيما يأتي بيان لأهميّة الأخلاق، وفوائدها التي تعود على المجتمعات :**

* الأخلاق تحفظ للمجتمع تماسكه واستقراره، بتحديدها للمُثُل العُليا، والمبادئ الأساسيّة التي يقوم عليها، ممّا يجعل الحياة الاجتماعيّة سليمةً ويُبقيها متواصلةً.
* الأخلاق تساعد المجتمع على مواجهة التغيّرات التي تحدث فيه؛ وذلك بتحديدها للاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهّل حياة عموم النّاس، وتحفظ كيان المجتمع في إطارٍ موحّدٍ ومحدّدٍ. الأخلاق تُسهم في ربط أجزاء المجتمع الثقافيّة بعضها ببعض؛ إذ تجعلها تبدو متناسقة ومتجانسة، كما تُعطي الأخلاق أيضاً النظام المجتمعيّ أساساً إيمانيّاً وعقليّاً.
* الأخلاق تقي المجتمعَ من الأنانيّة المُفرطة، وطيش الشّهوات، ونزوات الأهواء التي تضرّ بأفراده، وتُخلّ بنظامه.
* الأخلاق تزوّد المجتمع بصيغةٍ تُبيّن كيفيّة وطريقة التعامل مع العالم الطبيعيّ والبشريّ.
* الأخلاق تزوّد المجتمع بالصّبغة الملائمة التي تربط بين نظمه الداخليّة المختلفة، منها: الاقتصاديّة، والسياسيّة، والإداريّة، ممّا يؤدي إلى إحاطته بسياجٍ واقٍ يقيه من التفكّك والانحلال، وما يترتّب عليهما من مخاطر وأضرار.

**إنَّ أهمية الأخلاق للحياة الإنسانية في نظر الإسلام ينظر إليها من اعتبارات مختلفة أهمها :**

**أولاً : علاقة الأخلاق ببناء الشخصية الإنسانية :**

الإنسان جسد وروح، ظاهر وباطن، والأخلاق الإسلامية تمثل صورة الإنسان الباطنة، والتي محلها القلب، وهذه الصورة الباطنة هي قوام شخصية الإنسان المسلم، فالإنسان لا يقاس بطوله وعرضه، أو لونه وجماله، أو فقره وغناه، وإنما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق، يقول تعالى: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ، ويقول ( صلى الله عليه واله وسلم ) : ( إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ) .

**ثانياً: ارتباط الأخلاق بالأسس العقدية والتشريعية للدين الإسلامي:**

جعل الإسلام العقيدة الأساس الأول الذي تصدر عنه الأخلاق الفاضلة، وارتباط الأخلاق بالعقيدة أمر معلوم لكل من له فكر وروية بأمور الإسلام، وهذا الارتباط يشكل ضمانة لثبات الأخلاق واستقرارها وعدم العبث بها، كما يعتبر في الوقت نفسه شجرة مثمرة طيبة لهذه العقيدة، قال العلماء في هذا المعنى : ( إن العقيدة دون خلق شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، وإن الخلق دون عقيدة ظل لشبح غير مستقر) . أما عن ارتباط الأخلاق بالشريعة، فالشريعة منها العبادات، والمعاملات، وصلة الأخلاق بالعبادات لا تحتاج إلى تقرير، وصلتها بالمعاملات لا تنفك، وعلى هذا فإن العبادات والمعاملات إذا عريت عن الأخلاق لا تغني عن صاحبها شيئاً .

**ثالثاً: آثارها في سلوك الفرد والمجتمع:**

تظهر أهمية الأخلاقية الإسلامية لما لها من أثر في سلوك الفرد، وفي سلوك المجتمع . أما أثرها في سلوك الفرد فلما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة، والصدق، والعدل، والأمانة، والحياء، والعفة، والتعاون، والتكافل، والإخلاص، والتواضع ... وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فالأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح، يقول تعالى: ( قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا )، ويقول سبحانه : ( قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى )، والتزكية في مدلولها ومعناها : تعني: تهذيب النفس باطناً وظاهراً، في حركاته وسكناته .

وأما أثرها في سلوك المجتمع كله، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية إسلامية كانت أو غير إسلامية، يقرر ذلك قوله تعالى: ( وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ) .